

الباب الأول

أخبار من عصر الراشدين

١- فصل

ذكر بعض أخبار عمر رضي الله عنه

[١] قيل : لما رجع عمر رضي الله عنه من الشام إلى المدينة ، انفراد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته ، فمر بعجوز في خباء^(١) لها فقصدها فقالت : ما فعل عمر رضي الله عنه ، قال : قد أقبل من الشام سالماً فقالت : يا هذا لا جزاه الله خيراً عني ، قال : ولما قالت : لأنه ما أنالني من عطائه منذ ولي أمر المسلمين ديناراً ولا درهماً ، فقال : وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع ؟ فقالت : سبحان الله ، والله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها ، فبكى عمر رضي الله عنه ، فقال : وا عمراه كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر ، ثم قال : لها يا أمة الله بكم تبيعي ظلامتك من عمر فإني أرحمه من النار ، فقالت : لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر : لست أهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً فينما هو كذلك ، إذ أقبل على بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا : السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها ، وقالت : وا سواتاه شمت أمير المؤمنين في وجهه ، فقال لها عمر رضي الله عنه : لا بأس عليك يرحمك الله ، ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها : "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة إلى يوم كذا ، بخمسة وعشرين ديناراً ؛ فما تدعى عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي

(١) خباء : ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر للسكن .

الله تعالى ، فعمر برىء منه ، شهد على ذلك : علىّ وابن مسعود" . ثم دفعها إلى ولده ، وقال له : إذا أنا مت فاجعلها في كفنى ألقى بها ربي. (١)

[٢] وقال شرف الدين حسين بن ريان : أغرب ما سمعته من الأخبار ، وأعجب ما نقلته عن الأخيار ممن كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ويسمع كلامه ، قال : بينما الإمام جالس في بعض الأيام وعنده أكابر الصحابة وأهل الرأي والإصابة ؛ وهو يقول في القضايا ويحكم بين الرعايا ، إذ أقبل شاب نظيف الأثواب يكتفه (٢) شابان من أحسن الشبان نظيفا الثياب ، قد جذباه وسحباه وأوقفاه بين يدي أمير المؤمنين ، وليباه (٣).

فلما وقفوا بين يده نظر إليهما وإليه ، فأمرهما بالكف عنه فأدنياه منه ، وقالوا : يا أمير المؤمنين نحن أخوان شقيقان حديران باتباع الحق حقيقان ، كان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير ، معظم في قبائله ، منزّه عن الرذائل ، معروف بفضائله ، ربانا صغاراً وأعزنا كباراً وأولانا نعماً غزاراً كما قيل :

لنا والد لو كان للناس مثله أب آخر أغناهم بالمناقب

خرج اليوم إلى حديقة له ينتزه في أشجارها ، ويقطف يانع ثمارها ، فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ، ونسألك القصاص بما جناه ، والحكم فيه بما أراك الله .

(١) انظر : حياة الحيوان الكبرى للسمري ، حرف الهمزة (٧٨/١) .

(٢) يكتفه : يحيطوا به .

(٣) ليباه : ألزماه مكانه .

قال الراوى : فنظر عمر إلى الشاب وقال له : قد سمعت فما الجواب؟ والغلام مع ذلك ثابت الحاش خالٍ من الاستيحاش^(١) قد خلع ثياب الهلع ونزع جلباب الجزع، فتبسم عن مثل الجمال^(٢) وتكلم بأفصح لسان وحياء بكلمات حسان ، ثم قال : ياأمير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا ، وصدقا فيما نطقا ، وخبرا بما جرى وعبرا بما ترى، وسأنهى قصتى بين يديك والأمر فيها إليك ، اعلم ياأمير المؤمنين أنى من العرب العرباء أبيت فى منازل البادية وأصبح على أسود السنين العادية فأقبلت إلى ظاهر هذا البلد بالأهل والمال والولد ، فأفضت بى بعض طرائقها إلى المسير بين حدائقها بياق^(٣) حبيبات إلى عزيزات علىّ ، بينهن فحل كريم الأصل ، كثير النسل، مليح الشكل، حسن النتاج ، يمشى بينهن كأنه ملك عليه تاج، فدنّت بعض النوق إلى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها فتناولته بمشفرها، فطردتها عن تلك الحديقة ، فإذا شيخ قد زمجر^(٤) وزفر^(٥) وتسور الحائط^(٦) وظهر وفى يده اليمنى حجر يتهادى كالليث إذا خطر، فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله ، وأصاب مقتله . فلما رأيت الفحل قد سقط لجنبه انقلب توقدت فى جمرات الغضب ، فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به ، فكان سبب حينه ولقى سوء منقلبه ، والمرء مقتول بما قتل به،

(١) خال من الاستيحاش : غير مكثرت لآى أمر .

(٢) الجمال : اللؤلؤ .

(٣) بياق ، جمع ناقة : الأنثى من الإبل ، سميت بذلك لارتفاع خلقها .

(٤) زَمَجَرَ : أكثر الصياح والصخب .

(٥) زَفَرَ : أخرج نفسه مع مدّ إياه .

(٦) تَسَوَّرَ الحائط : صعد عليه .

بعد أن صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة أليمة ، فأسرعت من مكانى فلم يكن بأسرع من هذين الشابين فأمسكاني وأحضراني كما تراني ، فقال عمر : قد اعترفت بما اقترفت ، وتعذر الخلاص ، ووجب القصاص ، ولات حين مناص .

فقال الشاب : سمعاً لما حكم به الإمام ، ورضيت بما اقتضته شريعة الإسلام ، لكن لى أخ صغير كان له أب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل ، وذهب جليل ، وأحضره بين يدي وأسلم أمره إليّ ، وأشهد الله عليّ ، وقال : هذا لأخيك عندك فاحفظه جهداً ، فاتخذت لذلك مدمناً^(١) ووضعت فيه ، ولا يعلم به إلا أنا ، فإن حكمت الآن بقتلى ذهب الذهب ، وكنت أنت السبب وطالبك الصغير بحقه يوم يقضى الله بين خلقه ، وإن أنظرتني ثلاثة أيام ، أقمت من يتولى أمر الغلام ، وعدت وافياً بالزمام ، ولى من يضممني على هذا الكلام . فأطرق عمر ثم نظر إلى من حضر وقال : من يقوم على ضمانه والعود إلى مكانه ؟ قال : فنظر الغلام إلى وجوه أهل المجلس الناضرين ، وأشار إلى أبي ذر دون الحاضرين ، وقال : هذا يكفلني ويضممني . قال عمر : يا أبا ذر تضمنه على هذا الكلام ؟ قال : نعم أضمنه إلى ثلاثة أيام . فرضى الشابان بضمانة أبي ذر ، وأنظراه ذلك القدر .

فلما انقضت مدة الإمهال ، وكاد وقتها يزول أو قد زال ، حضر الشابان إلى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر ، وأبو ذر قد حضر والخصم ينتظر ، فقال : أين الغريم^(٢) يا أبا ذر كيف يرجع من فر ، لا

(١) مدمنا : دار قديمة .

(٢) الغريم : الخصم .

تبرح من مكاننا حتى تفى بضماننا ؟ فقال أبو ذر : وحق الملك العلام إن انقضى تمام الأيام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان وأسلمت نفسى وبالله المستعان . فقال عمر : والله إن تأخر الغلام لأمضين فى أبى ذر ما اقتضته شريعة الإسلام . فهمت عبرات^(١) الناظرين إليه ، وعلت زفرات الحاضرين عليه ، وعظم الضجيج وتزايد النشيج^(٢) ، فعرض كبار الصحابة على الشاين أخذ الدية واغتنام الأثنية^(٣) ، فأصرا على عدم القبول ، وأبيا إلا الأخذ بشأر المقتول ، فبينما الناس يموجون تلهفاً لما مر ، ويضجون تأسفاً على أبى ذر ، إذ أقبل الغلام ووقف بين يدى الإمام ، وسلم عليه أتم السلام ، ووجهه يتهلل مشرقاً ، ويتكلل عرقاً^(٤) ، وقال : قد أسلمت الصبى إلى أحواله ، وعرفتهم بخفى أحواله ، وأطلعتهم على مكان ماله ، ثم اقتحمت هاجرات^(٥) الحر ، ووفيت وفاء الحر ، فعجب الناس من صدقه ، ووفائه وإقدامه على الموت واجترائه ، فقال : من غدر لم يعف عنه من قدر ، ومن وفى رحمه الطالب وعفا ، وتحققت أن الموت إذا حضر لم ينج منه احتراس ؛ كيلا يقال : ذهب الوفاء من الناس .

فقال أبو ذر : والله ياأمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ، ولم أعرفه من أى قوم ، ولا رأيته قبل ذلك اليوم ؛ ولكن نظرت إلى دون من

(١) عَبْرَات : دموع .

(٢) النشيج : الصوت .

(٣) الأثنية ، مفردها الشاء : المدح .

(٤) يتكلل عرقاً : شدة العرق .

(٥) هَاجِرَات : نصف النهار فى القبط أو عند زوال الشمس إلى العصر .

حضر فقصدنى ، وقال : هذا يضمننى ، فلم أستحسن رده وأبت المروءة أن تخيب قصده إذ ليس فى إجابة القاصد من بأس ؛ كيلا يقال : ذهب الفضل من الناس ، فقال الشابان عند ذلك: ياأمير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم أيينا ، فبدل وحشته بإيئاس ؛ كيلا يقال : ذهب المعروف من الناس . فاستبشر الإمام بالعفو عن الغلام ، وصدقه ووفائه ، واستغفر مروءة أبى ذر دون جلسائه ، واستحسن اعتماد الشايعين فى اصطناع المعروف ، وأثنى عليهما أحسن ثنائهم وتمثل بهذا البيت :

من يصنع الخير لم يعدم جوائزه لا يذهب العرف بين الله والناس
ثم عرض عليهما أن يصرف من بيت المال دية أييهما ، فقالا : إنما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ، ومن نيته هكذا لا يتبع إحسانه منا ولا أذى.
قال الراوى : فآثبتها فى ديوان الغرائب وسيطرتها فى عنوان العجائب، انتهى .

[٣] و[قيل]^(١) : أحضر الهرمزان^(٢) بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مأسوراً فدعاه إلى الإسلام فأبى ، فأمر بضرب عنقه ، فقال : ياأمير المؤمنين قبل أن تقتلنى اسقنى شربة من الماء ولا تقتلنى ظمآن ، فأمر له عمر بقدرح مملوء ماء. فلما صار القدرح فى يد الهرمزان قال : أنا آمن

(١) انظر : عيون الأخبار ، لابن قتيبة (٢٩٣/١) والعقد الفريد لابن عبد ربه (١٢٥/١) .

(٢) الهرمزان : من دهاقنة الأمواز ، وقد أسلم وعاش بالمدينة ، وكان من المقربين لعمر بن الخطاب . وقد اتهم بالمشاركة فى قتل عمر بن الخطاب ، فقتله عبيد الله بن عمر فى الليلة التى مات فيها أبوه . انظر : كتاب العراج لحيى بن آدم القرشى ص ٦٠ .

حتى أشربه ؟ قال : نعم لك الأمان حتى تشربه ، فألقى الهرمزان الإناء من يده فأراقه ، ثم قال : الوفاء يا أمير المؤمنين، فقال عمر رضي الله عنه : دعوه حتى أنظر في أمره . فلما رفع السيف عنه قال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فقال عمر رضي الله عنه : لقد أسلمت خير الإسلام ، فما أخرك؟ قال : خشيت أن يقال : إنني أسلمت خوفاً من السيف ، فقال عمر: إنك لفارس حكيم استحققت ما كنت فيه من الملك ، ثم أن عمر رضي الله عنه بعد ذلك كان يشاوره في إخراج الجيوش إلى أرض فارس ويعمل برأيه انتهى . وسيأتي نظير ذلك في أخذ الأمان بالحيلة .

[٤] ومما ذكر عبد الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد ابن عبدون^(١): عما وقع لجبله بن الأيهم^(٢) حين لطم الفزارى على وجهه لما داس على رذائه وقال له عمر رضي الله عنه : يقتض منك أو ما هذا معناه ، فقال لعمر : وهل أستوى أنا وهو في ذلك ؟ فقال له : نعم الإسلام ساوى بينكما ، فقال: أجلي إلى غد ، فلما أصبح مضى إلى قيصر ملك الروم وارتد ، ثم ندم وقال أبياتاً وهي هذه :

تنصرت الأشراف من أجل لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكفنى منها لحاج ونخوة فبعت بها العين الصحيحة بالعمور^(٣)

(١) انظر : تاريخ ابن خلدون (٢/ ٢٨١) .

(٢) جبله بن الأيهم بن جبلة الغساني : آخر ملوك الفساسنة في بادية الشام . قاتل المسلمين في دومة الجندل (١٢هـ) وأسلم بعد وقعة اليرموك (١٥هـ) وهاجر إلى المدينة ثم ارتد وخرج إلى بلاد الروم وتنصر ، ومات على كفره ، ت [٢٠هـ - ٦٤١م] .

(٣) لِحَاج : التماذى في العناد .

فيا ليت أُمي لم تلدني وليتني رجعت إلى الأمر الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الأيهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية ،
أقطع هرقل الأموال والضياع وبقي ما شاء الله . ثم إن عمر رضي الله عنه بعث إلى
قبصر رسولاً^(١) يدعو إلى الإسلام أو إلى الحزبية ، فلما أراد الانصراف قال
هرقل للرسول : ألقيت ابن عمك هذا الذي عندنا ، يعني جبلة الذي أتانا
راعياً في ديننا، قال : لا ، قال : فאלقه ثم إتني أعطك جواب كتابك .

قال الرسول : فذهب إلى دار جبلة ، فإذا عليه من القهارمة^(٢)
والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل ، قال : فلم أزل
أتلطف بالإذن حتى أذن لي ، فدخلت عليه فرأيتُه أصهب اللحية^(٣) ذا
سبال^(٤) ، وكان عهدي به أسود اللحية والرأس فأنكرته ، فإذا هو قد دعا
بسحالة الذهب^(٥) فذرهما على لحيته حتى أصهب ، وهو قاعد على سرير
من قوارير على قوائمه أربعة أسود من ذهب .

فلما عرفني رفني معه على السرير ، فجعل يسألني عن المسلمين ،
فذكرت له خيراً وقلت : قد أضعفوا أضعافاً على ما تعرف ، فقال : وكيف

(١) الرسول الذي بعثه عمر بن الخطاب ، هو : جثامة بن مساحق الكناني .

(٢) القهارمة : الركلاء ، أو أماء الداخل والعارج .

(٣) أصهب اللحية : بها حمرة .

(٤) السبال : ماعلى الشارب من الشعر .

(٥) سحالة الذهب : برادة الذهب .

تركت عمر بن الخطاب ؟ فقلت : بخير . قال : فرأيت الغم في وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ، ثم انحدرت على السرير ، فقال : لم تأبى الكرامة التي أكرمناك بها ؟ فقلت : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا ، فقال : نعم نهى صلى الله عليه وسلم ؛ ولكن نق قلبك ولا تبال على ما قعدت .

فلما سمعته يقول : صلى الله عليه وسلم ؛ طمعت فيه ، فقلت له : ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الإسلام وفضله ! فقال : أبعد ما كان منى ، قلت : نعم قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت : ارتد عن الإسلام ، وضرب وجوه المسلمين بالسيف ، ثم رجع إلى الإسلام ؛ وقبل منه ، وخلفته بالمدينة مسلماً ، وإنما ذكرت له أن الذى فعل هذه الفعلة من فزارة وأنه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع إلى الإسلام ؛ لأن الرجل الذى كان تنصر جبلة من أجله لما لطمه وأراد عمر أن يقتص منه كان فزارياً أيضاً ، فقلت له : أمرك أخف من أمره إن رجعت إلى الإسلام ، فإنك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل ، فقال : زدنى من هذا ؛ إن كنت تضمن لى أن يزوجنى عمر ابنته ، ويولبنى الأمر من بعده ، رجعت إلى الإسلام ؛ فضمنت له التزويج ولم أضمن له توليه الأمر .

قال : ثم أوماً إلى خادم كان على رأسه واقفاً فذهب مسرعاً ، فإذا خدم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها طعام ، فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة ، وقال لى : كل فقبضت يدى ، وقلت : رسول الله ﷺ نهى عن الأكل فى آتية الذهب والفضة ، قال : نعم نهى صلى الله عليه وسلم ، ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت ، قال : فأكل فى الذهب

وأكلت أنا فى الخلنج^(١) ، ثم دعا بطسوت^(٢) الذهب وأباريق الفضة ، فغسل يديه فى الذهب وغسلت فى الصفر^(٣) ، ثم أوماً إلى خادم بين يديه ، فمر مسرعاً فسمعت حساً فإذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجوهر ، فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ، ثم جاءت الحوارى وعليهن تيجان الذهب ، فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى ، ثم جاءت جارية أيضاً كأنها الشمس حسناً على رأسها تاج وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفى يدها جامة^(٤) فيها مسك فتيت ، وفى يدها الأخرى جامة فيها ماء ورد ، فأومات تلك الجارية وصفرت بالطائر الذى على تاجها فوق فى جامة المسك فاضطرب فيها ، ثم صفرت به ثانياً فوق فى جامة ماء الورد فاضطرب فيها ، ثم أومات إليه فطار ، ثم نزل على صليب فى تاج على جبلة ، فلم يزل يرفرف حتى نفث ما فى ريشه عليه ، فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ، ثم ملتفت إلى الحوارى اللواتى عن يمينه فقال لهن : أضحكنا فاندفعن يغنين فجعلن يخفقن عيدانهن ويقلن^(٥) :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بحلق فى الزمان الأول^(٦)

(١) الخلنج : شجر تُعمل منه القصاع ومنه قولهم : لين النحت فى قصاع الخلنج .

(٢) الطسوت ، جمع طست : الإناء .

(٣) الصُّفْر : إناء من النحاس .

(٤) الحامة : الكأس .

(٥) الأبيات لحسان بن ثابت . انظر : العقد الفريد ، لابن عبد ربه (٥٩/٢) .

(٦) جَلَّقَ : موضع فى سورية جنوبى دمشق ، استوطنه الفساسة .

إلى قوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد الريض عليهمو بردى يصفق بالرحيق السلسل^(١)

قال : فضحك جبلة حتى بدت أنيابه ، ثم قال : أتدرى من يقول
هذا؟ قلت: لا قال: حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ ثم أشار إلى الحوارى
النواتى عن يساره وقال : أبكىتنا ، فاندفعن يغنين وتخفق عيدانهن ويقلن
شعراً^(٢) :

لمن الدار أقفرت بمعان بين أعلى اليرموك فالحمان^(٣)
إلى قوله :

ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر ——— ر وحق تعاقب الأزمان

قال : فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ، ثم قال : أتدرى
من يقول هذا؟ قلت : لا ، قال : حسان ؛ ثم أنشد الأبيات التى أولها
تنصرت الأشراف إلى آخرها ، ثم سألتنى عن حسان أحى هو ؟ قلت : نعم
فأمر له بكسوة ولى أيضاً كذلك، ثم أمر لحسان بنال ونوق موقورة برا^(٤)،
ثم قال لى : إن وجدته حياً فادفع إليه الهدية ، وأقرئه منى السلام ، وإن
وجدته ميتاً، فادفعها إلى أهله ، وانحر النوق على قبره .

(١) الريض : ماء الورد

(٢) الأبيات لحسان بن ثابت . انظر : العقد الفريد ، لابن عبد ربه (٦٠،٥٩/٢) .

(٣) معان : مدينة فى جنوب الأردن .

(٤) نوق موقورة برا : المراد أنها مسمنة بإعلافها القمح ، مما يزيد من قيمتها .

قال : فلما أخبرت عمر رضي الله عنه بخبره وما اشترطه على ، وما ضمنت له ، قال : فهلا ضمنت له الأمر ، فإذا أفاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمه ما كان إلا ما أراد ، ثم جهزني عمر ثانياً إلى هرقل ، وأمرني أن أضمن له ما اشترطت . فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته ، فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أم الكتاب ، انتهى .

[٥] [وقيل] : إنه قدم أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعد بن أبي وقاص^(١) ، فقال : من يعذرنى من أهل الكوفة ، إن وليتهم التقى ضعفوه ، وإن وليتهم القوى فحروه ، فقال له المغيرة بن شعبة^(٢) : يا أمير المؤمنين إن التقى الضعيف له تقاه ولك ضعفه ، وإن التقى الفاجر لك قوته وعليه فحوره ، قال : صدقت أنت القوى الفاجر ، فاخرج إليهم فلم يزل عليهم أيام عمر ، وأيام عثمان رضي الله عنهما ، وأيام معاوية حتى مات المغيرة ، انتهى .

(١) سعد بن أبي وقاص ، هو : مالك بن وهب القرشي المكي ، صحابي جليل من العشرة المبشرين بالجنة ، أول من رمى بسهم في الإسلام ، شهد بدرًا والمشاهد ، وهو أحد الستة أصحاب الشورى . صاحب القادسية . ولاد عمر على الكوفة ثم عزلة عنها [٢١هـ] عندما شكاه ، أهلها توفى بالمدينة ، ودفن بالقيع سنة [٥٥هـ] - ٦٧٤م] . انظر : تذكرة الحفاظ (٢٢/١) .

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود : صحابي ، أسلم في السنة الخامسة من الهجرة . أول من سلم عليه بالإمرة في الإسلام ، ت [٥٠هـ] . انظر : الإصابة ترجمة رقم (٨١٨١) .

[٦] [وقيل] : دخل عمرو بن معد يكرب الزبيدي^(١) على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال عمر : أخبرني عن أجبن من لقيت ، وأحيل من لقيت ، وأشجع من لقيت .

قال: نعم ياأمير المؤمنين ، خرجت مرة أريد الغارة فبينما أنا سائر، إذا بفرس مشدود ، ورمح مركوز^(٢) ، وإذا رجل جالس كأعظم ما يكون من الرجال خلقاً ، وهو محتب^(٣) بحمائل سيفه ، فقلت له خذ حذرك فإني قاتلك فقال : ومن أنت ، قلت: أنا عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فشهى شهقة فمات . فهذا ياأمير المؤمنين أجبن من رأيت .

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى حي ، فإذا أنا بفرس مشدود ، ورمح مركوز، وإذا صاحبه في وهدة^(٤) يقضى حاجته ، فقلت : خذ حذرك فإني قاتلك ، فقال : ومن أنت ؟ فأعلمته بي ، فقال : ياأبا ثور ما أنصفتي أنت على ظهر فرسك، وأنا على الأرض فأعطني عهداً ، أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي فأعطيته عهداً ، فخرج من الموضع الذي كان فيه ، واحتبى بحمائل سيفه ، وجلس فقلت ما هذا ؟ فقال : ما أنا براكب فرسي ولا

(١) انظر: بدائع السلك في طبائع الملك، لابن الأزرقي ص ٤٣٥. عمرو بن معد يكرب بن ربيعة الزبيدي : صحابي ، فارس اليمن صاحب الغارات المذكورة . أسلم مع وفد بني زيد (٩هـ) وإرتد بعد وفاة النبي ﷺ في اليمن ، ثم رجع إلى الإسلام وبعثه أبوه بكر إلى الشام ، فشهد اليرموك ، والقادسية ، توفي بالري ، ت [٢١١هـ - ٢٤٢م] .

(٢) رمح مركوز : مثبت في الأرض .

(٣) محتب من احتبى احتباءً بالشوب : اشتعل به ، حمائل مفرد لجمالة : علاقة السيف .

(٤) وهدة : الأرض المنخفضة .

بمقاتلك ، فإن نكثت عهدك فأنت أعلم بناكث العهد، فتركه ومضيت ،
فهذا ياأمير المؤمنين أحيل من رأيت .

وخرجت مرة حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه الطريق ، فلم أر
أحداً فأجريت فرسى يميناً وشمالاً ، وإذا أنا بفارس فلما دنا مني ، فإذا هو
غلام حسن نبت عذاره^(١)، من أجمل من رأيت من الفتيان ، وأحسنهم ،
وإذا هو قد أقبل من نحو اليمامة ، فلما قرب مني سلم فرددت عليه السلام،
وقلت : من الفتى ؟ قال : الحارث بن سعد فارس الشهباء، فقلت له : خذ
حذرك فإنني قاتلك ، فقال : الويل لك فمن أنت ؟ قلت : عمرو بن معد
يكرب الزبيدي ، قال : الذليل الحقير ، والله ما يمنعني من قتلك إلا
استصغارك ، فتصاغرت نفسي ياأمير المؤمنين وعظم عندي ما استقبلني به،
فقلت له: دع هذا وخذ حذرك فإنني قاتلك ، والله لا ينصرف إلا أحدنا ،
فقال : اذهب ثكلتك أمك، فأنا من أهل بيت ما أئكلنا فارس قط ، قلت :
هو الذي تسمعه ، قال: اختر لنفسك فيما أن تطرد لي وإما أن أطرد لك ،
فاغتنمتها منه فقلت له : أطرد لي ، فأطرد وحملت عليه فظننت أنني
وضعت الرمح بين كتفيه ، فإذا هو صار حزاماً لفرسه، ثم عطف على فقع
بالقناة رأسى ، وقال : يا عمرو خذها إليك واحدة ، ولولا أنني أكره قتل
مثلك لقتلتك ، قال : فتصاغرت نفسي عندي وكان الموت ياأمير المؤمنين
أحب إلي مما رأيت ، فقلت له : والله لا ينصرف إلا أحدنا ، فعرض عليّ
مقالته الأولى ، فقلت له : أطرد لي فأطرد فظننت أنني تمكنت منه فاتبعته
حتى ظننت أنني وضعت الرمح بين كتفيه ، فإذا هو صار ليلاً^(٢) لفرسه ، ثم

(١) عذاره : الشعر الذي يحانب الأذن .

(٢) صار ليلاً : ملازماً له .

عطف على ، ففنع بالقناة رأسى ، وقال : خذها إليك ياعمرو ثانية ، فتصاغرت على نفسى جداً قلت : والله لا ينصرف إلا أحدنا ، فأطرد حتى ظننت أنى وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه ، فإذا هو على الأرض فأخطأته فاستوى على فرسه واتبعنى حتى قنع بالقناة رأسى ، وقال : خذها إليك ياعمرو ثالثة ، ولولا كراحتى لقتل مثلك لقتلتك ، فقلت : اقتلنى أحب إليّ ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال : ياعمرو إنما العفو عن ثلاث ، وإذا استمكنك منك فى الرابعة قتلتك وأنشد يقول :

وكدت أغلاظاً من الأيمان إن عدت ياعمرو إلى الطعان
لتجدن لهيب السنان أولا فلسست من بنى شيان

فهتته هيبة شديدة ، وقلت له : إن لى إليك حاجة ، قال : وما هى ؟ قلت : أكون صاحباً لك قال : لست من أصحابى ، فكان ذلك أشد على وأعظم مما صنع ، فلم أزل أطلب صحبتته حتى قال : ويحك أتدرى أين أريد ؟ قلت : لا والله قال : أريد الموت الأحمر عياناً قلت : أريد الموت معك .

قال : امض بنا ، فسرنا يومنا أجمع حتى أتانا الليل ، ومضى شطره فوردنا على حى من أحياء العرب ، فقال لى : ياعمرو فى هذا الحى الموت الأحمر ، فإذا أن تمسك على فرسى فأنزل وأتى بحاجتى ، وإذا أن تنزل وأمسك فرسك فتأتينى بحاجتى ، فقلت : بل انزل أنت فأنت أخبر بحاجتك منى ، فرمى إلى بعنان فرسه ورضيت والله ياأمير المؤمنين بأن أكون له سائساً ، ثم مضى إلى قبة فأخرج منها جارية لم تر عيناى أحسن منها حسناً وجمالاً ، فحملها على ناقة ثم قال : ياعمرو فقلت : ليك قال :

إما أن تحميني وأقود الناقة أو أحملك وتقودها أنت ، قلت : لا بل أقودها وتحميني أنت ، فرمى إلى بزمام الناقة ثم سرنا حتى أصبحنا .

قال : ياعمرو قلت : ما تشاء ، قال : التفت فانظر هل ترى أحداً ؟ فالتفت فرأيت رجالاً ، فقلت : أغذذ السير^(١) ، ثم قال : ياعمرو انظر إن كانوا قليلاً فالجلد والقوة وهو الموت الأحمر ، وإن كانوا كثيراً فليسوا بشيء ، فالتفت وقلت : هم أربعة أو خمسة ، قال : اغذذ السير ، ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب ، فقال : ياعمرو كن عن يمين الطريق وقف ، وحول وجه دوابنا إلى الطريق ، فعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ، ودنا القوم منا وإذا هم ثلاثة نفر : شابان وشيخ كبير ، وهو أبو الجارية ، والشابان أخوها ، فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ : خل عن الجارية يا ابن أخي ، فقال : ما كنت لأخليها ولا لهذا أخذتها ، فقال : لأحد بنيه : اخرج إليه ، فخرج وهو يحجر رحمه ، فحمل عليه الحارث وهو يقول :

من دون ما ترجوه خضب الذابل من فارس ملثم مقاتل
ينمى إلى شيبان خير وائل ما كان يسرى نحوها بياطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه ، فسقط ميتاً ، فقال الشيخ لابنه الآخر : اخرج إليه فلا خير في الحياة على الذل فأقبل الحارث وهو يقول :

لقد رأيت كيف كانت طعنتي والظعن للقرم الشديد الهمة^(٢)

(١) أغذذ السير : أسرع في السير .

(٢) القرم : السيد ، على التشبيه بالقرم من الإبل لعظم شأنه .

والموت خير من فراق خلتي فقتلتى اليوم ولا مذلتي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتاً ، فقال له الشيخ : خل
عن الظعينة^(١) يا ابن أخى ، فإننى لست كمن رأيت ، فقال : ما كنت
لأخليها ولا لهذا قصدت ، فقال : الشيخ يا ابن أخى اختر لنفسك ، فإن
شئت نازلتك وإن شئت طاردتك ، فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو
يقول شعراً :

ما أرتحى عند فناء عمرو سأجعل التسعين مثل شعر
تخافنى الشجعان طول دهرى إن استباح البيض قسم الظهر
فأقبل الحارث وهو ينشد ويقول :

بعد ارتحالى ومطال سفرى وقد ظفرت وشفيت صدرى
فالموت خير من لباس الغدر والعار أهديه لحى بكر

ثم دنا فقال له الشيخ : يا ابن أخى إن شئت ضربتك فإن أبقيت فيك
بقية فاضربنى ، وإن شئت فاضربنى فإن أبقيت فى بقية ضربتك ، فاغتنمها
الفتى وقال : أنا أبداً فقال الشيخ : هات فرفع الحارث يده بالسيف ، فلما
نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه ضرب بطنه بطعنة قد منها أمعاءه
ووقعت ضربة الفتى على رأس الشيخ فسقطا ميتين . فأخذت يا أمير
المؤمنين : أربعة أفراس ، وأربعة أسياف ؛ ثم أقبلت إلى الناقة . فقالت
الحارية : يا عمرو إلى أين ولست بصاحبتك ، ولست لى بصاحب ولست
كمن رأيت ، فقلت : اسكنى ، فقالت : إن كنت لى صاحباً فاعطنى سيفاً

(١) الظعينة : المرأة ما دامت فى الهودج .

أو رمحاً، فإن غلبتني فأنا لك وإن غلبتك قتلتك ، فقلت : ما أنا بمعط ذلك، وقد عرقت أهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت نفسها على البعير ثم أقبلت تقول :

أبعد شيخى ثم بعد إخوتى يطيب عيشى بعدهم ولذتى
وأصحب من لم يكن ذا همة هلا تكون قبل ذا منيتى

ثم هوت إلى الرمح وكادت تنزعه من يدي فلما رأيت ذلك منها خفت إن ظفرت بي قتلتنى فقتلتها ، فهذا يأمر المؤمنين أشجع من رأيت .

[٧] [قيل] : أتى رجل إلى عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يستحمله ، فقال له : خذ لك بعيراً من إبل الصدقة ؛ فتناول ذنب بعير فحذبه فاقتلعه ، فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته ، فقال له : هل رأيت أقوى منك من أحد ؟ قال : نعم ، خرجت بامرأة من أهلى أريد بها زوجها ، فنزلت على حوض فأقبل رجل معه ذود^(١) فضرب ذوده إلى الحوض فساورها^(٢) يعنى المرأة فنادتنى فما انتهيت إليها حتى خالطها ، فحشت لأدفعه عنها ، فأخذ رأسى بين عضديه وجنبه ، فما استطعت التحرك حتى قضى وطره منها ، فقالت : أى فحل هذا لو كان منيحة^(٣) ! فأمهلت حتى امتلاً نوماً ، فقممت له بالسيف فضربت ساقه ، فانبه فتناول رجله فرماني بها فأخطأنى ، أى فاتنى ، وأصاب رأس بعير فقتله . فقال عمر رضي الله عنه : ما

(١) ذود : الإبل لا يتجاوز عددها الثلاثين ولا يقل عن الثلاث، ولا يكون إلا من الإناث.

(٢) ساورها : وثب عليها .

(٣) منيحة : العطية ، أى وكأنه أعجبها .

فعلت بالمرأة ؟ فقال : هذا حديث الرجل ، فكرر عليه السؤال ، فلم يزد على هذا ، ففطن أنه قتلها ، انتهى .

[٨] ويحكى : أن عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه^(١) ، كان عنده جارية جميلة وكان يحبها محبة شديدة ولم يتمكن منها ، خوفاً من زوجته ، فمضت يوماً زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين ، فقالت : أفعلتها قال : لم أكن فاعلها ، قالت : فأقرأ ، فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال :

علمت بأن وعد الله حق	وأن النار مشوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف	وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام	ملائكة الإله مسومينا

قالت : صدقت ، وكذبت عيناى قال : فذهبت وأخبرت النبى ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ، وصار يكررها ويقول : كيف قلت ، انتهى^(٢).

(١) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصارى : صحابى جليل من الأمراء ، والشعراء ، أحد النقباء ، شهد بدرا والمشاهد مع الرسول ﷺ وكان يقول : إذا لقى الرجل من أصحابه يقول : تعالى نؤمن بربنا ساعة ، وكان أحد الأمراء فى وقعة مؤتة فاستشهد فيها ، ت[٨٨ - ٦٢٩ م] .

(٢) انظر : الاستيعاب ، ابن عبد البر (٨٩٨/٣) .